علـــمـــاء وأعـــلام

آية الله الآخوند محمد كاظم الخراساني قدس سره

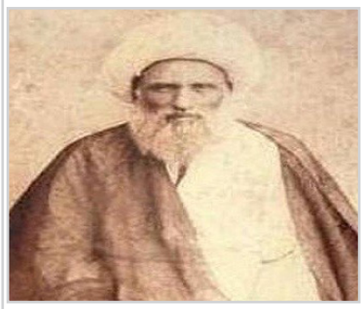

■ نسبه وولادته

هو الشيخ محمد كاظم بن الملا حسين الهروي الخراساني النجفي، المعروف بالآخوند، ولد في مدينة مشهد المقدسة، عام ١٢٥٥ هـ.

■ نشاطه العلمي

دراسته

أكمل الشيخ دراسة المقدّمات في مدينة مشهد المقدسة، ثمّ ذهب في سنة ١٢٧٧ هـ إلى مدينة سبزوار لدراسة الحكمة والفلسفة، وبقي فيها مدّة قصيرة، ثم ذهب إلى طهران لمواصلة دراسته وبقي فيها مدّة قصيرة، وفي عام ١٢٧٨ هـ، سافر إلى مدينة النجف الأشرف لإكمال دراسته الحوزوية، وبعد سفر أُستاذه السيد محمد حسن الشيرازي في سنة ١٢٩١ هـ إلى مدينة سامراء التحق به، وبقي هناك مدّة قصيرة يحضر دروسه، ثمّ عاد إلى مدينة النجف الأشرف.

أساتذته

لقد تتلمذ الشيخ الآخوند الخراساني على يد مجموعة من علماء عصره، في مشهد، وسبزوار، وطهران، والنجف الأشرف، وسامراء، ومنهم: الشيخ الملا هادي السبزواري، الميرزا أبو الحسن جلوه، الشيخ حسين الخوئي، السيد علي التستري، الشيخ راضي بن الشيخ محمد النجفي، الشيخ مرتضى الأنصاري، السيد محمد حسن الشيرازي، المعروف بالمجدد الشيرازي.

تلامذته

أشهر الشخصيات العلمية التي حضرت مجلسه ودرست عنده هم:

الميرزا أبوالحسن المشكيني، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، الشيخ محمد جواد البلاغي، الشيخ ضياء الدين العراقي، الشيخ محمد علي الشاه آبادي، السيد محسن الأمين العاملي، السيد أبو الحسن الأصفهاني، السيد حسين القمي، السيد محمد تقي الخونساري، السيد عبد الحسين الحجة، السيد حسن المدرس،الشيخ محمد حسين الأصفهاني (الكمباني)، السيد صدر الدين الصدر، السيد حسين البروجردي،السيد عبد الله البهبهاني، السيد عبد الهادي الشيرازي، السيد محسن الحكيم، السيد محمود الشاهرودي، آغا بزرك الطهراني.

مرجعيته

بعد وفاة الميرزا الشيرازي بدأ نجم الحوزة العلمية في سامراء بالأفول؛ واتجهت الأنظار مرة أخرى إلى حوزة النجف العلمية وزعيمها، حيث خلف الآخوند الخراساني الميرزا الشيرازي واعتبر مرجع تقليد للشيعة.

نشاطه السياسي

وفي الوقت الذي كان فيه الآخوند منهمكا بأعماله العلمية وتربية الطلاب وإدارة شؤون الحوزة العلمية التي كان يتألق نجمها يوما بعد يوم، كان يتابع الأحداث السياسية في إيران متابعة دقيقة.

■ مؤلفاته

الحاشية القديمة على الرسائل تأليف استاذه العلامة الشيخ الانصاري، الحاشية على مكاسب استاذه الاعظم الشيخ الانصاري، حاشية على أسفار صدر المتألهين الشيرازي، حاشية على منظومة السبزواري، ـ رسالة في المشتق، رسالة في الوقف، كفاية الأصول و... .

■ الوفاة

قبل يوم من مغادرته النجف الأشرف توفي الآخوند الخراساني وبشكل مفاجئ وكان هذا في ٢٠ ذي الحجة سنة ١٣٢٩ هـبعد إقامة صلاة الصبح وكان عمره حين وفاته ٧٤ سنة، ودفن بالنجف الأشرف في العراق. ولم يعتبر موته طبيعيا. وليس من المستبعد أن أذناب الإنجليز قد دسّوا السمّ في طعامه أو شرابه. وكان الشيخ عبدالله المازندراني قد أعلن في إحدى المناسبات قبل ١٤ شهرا من موت الآخوند بأنّ حياته وحياة الآخوند معرّضتان للخطر.

• ملاحظة

قصة «مصحف المشهد الرضوي»

■ تفاصيل المصحف وخصائصه

يعدّ مصحف المشهد الرضوي أحد أهمّ ما تبقّى من الوثائق القرآنية التي يعود تاريخها إلى القرن الأوّل الهجري، حيث يمكن أن نستقي منها صورة واضحة ومتكاملة عن تاريخ كتابة القرآن. وقد أطلَقْتُ في هذا البحث تسمية: مصحف المشهد الرضوي أو (Codex Mashhad) على هذا المصحف القديم الذي وجدتُ أكثر أوراقه في مكتبة العتبة الرضوية موزّعةً على نسختين مرقّمتين: ١٨، و٤١١٦، تتكوّن الأولى من ١٢٣ ورقة، والثانية من ١٢٩ ورقة، بحيث تمثّل مجموع هذه الأوراق أكثر من ٩٥ بالمائة من النصّ القرآني؛ فهذا أكمل قرآن وصل إلينا بالخط الحجازي من القرن الأول للهجرة. وقلّما نعثر على مصحف من المصاحف الحجازيّة القديمة تجتمع فيه جميع الخصائص الموجودة في مصحف المشهد الرضوي. وإذا دقّقنا النظر في النصّ ومميّزات الرسم وغرائب الإملاء واختلاف القراءات ونظم السوَر وترتيبها؛ أمكننا أن نستنتج أنّ القسم الأصلي من هذه النسخة قد تمّت كتابته في زمن متقدّم جداً، قد يرقى لأن يعود إلى القرن الأوّل للهجرة. ومن ميّزات هذا المصحف أنّ تركيبته الأصليّة وخلافاً لسائر النسخ القرآنيّة الراجعة للقرن الأوّل الهجري، قد جاءت موافقةً للرواية الرسميّة العثمانيّة، في حين جاء ترتيب السور فيه موافقاً للترتيب المنسوب للصحابي عبد الله بن مسعود.

(٥٠-١٠٠ هـ.ق)

*كتابة القرآن في المدينة أو الكوفة

تُشير الخصائص المتنيّة العامّة في مصحف المشهد الرضوي إلى احتماليّةَ أن يكون هذه المصحف قد دُوّن في المدينة، غير أنّ ترتيب السور فيه جاء مطابقًا لترتيب ابن مسعود في الكوفة. كما وتشير الخصائص الإملائيّة، والتحليلات الباليوغرافية باستخدام فحوصات الكربون-١٤ إلى كون هذا المصحف ينتمي إلى منتصفات القرن الثاني للهجرة.

(١٠٠-٣٠٠ هـ.ق)

■ احتماليّة وجود المصحف في الكوفة

وفقًا للنقولات التاريخيّة، فالكثير من المصاحف التي جاء ترتيب السور فيها مطابقًا لرواية ابن مسعود كانت متداولة في الكوفة. فتلامذة ابن مسعود في القراءة وتفسير القرآن وكذلك الأجيال التي تلتهم حضروا بشكل كبير في الكوفة لقرنيْن من الزمن على الأقل.

(٣٠٠-٤٠٠ هـ.ق)

■ إعادة ترتيب سور المصحف في العراق أو إيران

نظرًا إلى اشتهار الرواية الرسميّة للمتن القرآني بالترتيب العثماني في العالم الإسلامي في القرون اللاحقة، فقد تعرّض مصحف المشهد الرضوي للحكّ والإصلاح وإعادة ترتيب للسور، ليصبح مطابقًا للرواية الرسميّة.

(٤٠٠-٥٠٠ هـ.ق)

■ حضور المصحف في نيشابور

حظيت مدينة نيشابور بأهميّة سياسية وثقافيّة وعلميّة منذ القرون الأولى للإسلام، ويمثّل مرور الإمام الرضا من هذه المدينة وتحديثه برواية السلسلة الذهبيّة خير شاهد على حضور الكثير من المحدّثين هناك في أواخر القرن الثاني للهجرة. ومع تأسيس المدارس العلميّة المختلفة وحضور العلماء من مختلف الفرق الإسلاميّة، باتت هذه المدينة في الفترة الممتدّة بين القرنيْن الثالث والخامس للهجرة ذات أهميّة علميّة وتاريخيّة أكبر بكثير.

(في حدود سنة ٤٩٠ هـ.ق)

■ امتلاك علي بن أبي القاسم المقرّي السروي

لهذا المصحفتشير الشواهد الموجودة في الوقفيّة وكذلك بعض الصفحات الأخرى من المصحف إلى أنّه كان في أواخر القرن الخامس للهجرة ملكًا لأحد قرّاء نيشابور يُدعى علي بن أبي القاسم المقرّي السَرَوي، ليعود ويتمّ وقفة على الحرم الرضوي عن طريق هذا الشخص نفسه.

في حدود سنة ٤٩٠ هـ.ق

■ إعادة كتابة سورة الفاتحة في بداية المصحف بقلم وجيه بن طاهر الشحامي

يشير وجود ملاحظات في أواخر سورة الفاتحة إلى كون أحد الفقهاء الشافعيّين في نيشابور يُدعى وجيه بن طاهر الشحّامي (متوفّى ٥٤١ ق) قد أعاد كتابة سورة الفاتحة في بداية النسخة.

(في حدود الفترة الممتدة بين سنة ٥٠٠ إلى ٥٢٠ هـ.ق)

■ وقف المصحف على حرم الإمام الرضا عليه السلام

في ضمن جزأيْن منفصليْن مجزامن خلال متن وقفيّة المصحف التي جاءت في بداية النسخة رقم ١٨ وتكرّرت مجدّدًا في نهاية سورة الكهف بخطّ الواقف، نفهم أنّه تمّ وقف هذا المصحف في أواخر القرن الخامس أو أوائل القرن السادس للهجرة على حرم الإمام الرضا عليه السلام في ضمن جزأيْن منفصليْن.

الفترة الممتدة بين ٩٩٦ -١٠٠٦ هـ.ق

■ احتلال الأوزبك لمدينة مشهد (اختفاء أوراق ونسخ قرآنيّة مهمّة)

تعرّضت خراسان ومدينة مشهد في الحقبة الصفويّة لحملات وهجمات متكرّرة من قبل حكّام الأوزبك في مروْ، حيث تعرّضت مدينة مشهد للحصار والاحتلال في بعض هذه الحملات. ويغلب الظنّ أنّ بعض المسؤولين عن الحرم الرضوي قاموا

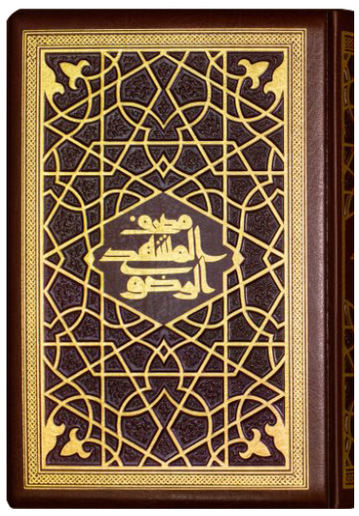

بتخبئة قسم من الأغراض الثمينة في جدران الحرم بهدف حمايتها من السرقة والضياع.

(في حدود سنة ١٢٥٠ هـ.ق)

■ ترميم القسم الأوّل من المصحف (النسخة رقم ١٨)

وصلنا القسم الأوّل من مصحف المشهد الرضوي بجلده القديم والأصليّ الراجع إلى زمان الوقف، ولكن نظرًا إلى الضرر الذي لحق بأطراف الأوراق، فقد غُطّيت أوراق هذه النسخة في العصر القاجاري بشرائط ورقيّة ومادّة لاصقة طبيعيّة وتمّ ترميمها.

(١٣٨٩ هـ.ق)

■ اكتشاف أوراق قرآنيّة مخبّئة في حائط أطراف الضريح المطهّر (ومن جملتها النسخة ٤١١٦)

كثير من الآثار الإسلاميّة القيّمة ومن جملتها العديد من الأوراق القرآنيّة كانت قد خُبّأت في القرون الماضية خلف الجدران المحاذية للضريح المشرّف، وقد تمّ اكتشافها عام ١٣٨٩ هـ.ق أثناء عمليّة تجديد الضريح وتوسعته.

(١٤٣٢ هـ.ق)

■ ترميم القسم الثاني للمصحف (النسخة رقم ٤١١٦)

في عام ١٤٣٢ هـ.ق قام السيّد حسن أحسن في قسم الترميم لمكتبة العتبة الرضويّة بترميم وتجليد مجموعة الأوراق المتناثرة المرتبطة بالقسم الثاني من مصحف المشهد الرضوي والتي أُعيد اكتشافها شيئًا فشيئًا في أنحاء مختلفة من الحرم.

(١٤٣٥-١٤٣٧ هـ.ق)

■ اكتشاف أهميّة ومكانة مصحف المشهد الرضوي الموجود في مكتبة العتبة الرضويّة

في أثناء الدراسات التي كان يقوم بها مرتضى كريمي نيا حول النسخ القرآنيّة القديمة في المتاحف والمكاتب الإيرانيّة، قام ولأوّل مرّة عام ١٤٣٥ هـ.ق بتشخيص القسم الأوّل من مصحف المشهد الرضوي (النسخة رقم ١٨) بوصفها القرآن الوحيد المكتوب بالخطّ الحجازي القديم في إيران، وفيما بعد عثر على القسم الثاني من هذا المصحف "النسخة رقم ٤١١٦" في المكتبة نفسها، وبعد جمع النسختين ووصلهما أطلق على مجموعها اسم "مصحف المشهد الرضوي".

(٤٣٧- ١٤٤٢ هـ.ق)

■ تحقيق متن النسختيْن المرقّمتيْن ١٨ و٤١١٦ (المتن الكامل للمصحف)

تقرّر من قبل مكتبة العتبة الرضويّة إسناد العمل التحقيقي ونشر مصحف المشهد الرضوي في قالب نفيس مرفقًا بمقدّمة تفصيليّة إلى مؤسّسة آل البيت عليهم السّلام لإحياء التراث. وقد تمّ الانتهاء من إعادة كتابة المصحف بأكمله وتحقيق المتن صفحة صفحة في عام ١٤٤٢ هـ.ق، وخلال هذه السنوات عُرضت نتائج هذا العمل ومعلومات حول هذا الأثر التاريخي المهمّ في بعض المقالات والمؤتمرات العلميّة التي انعقدت في الخارج.

(١٤٤٣- ١٤٤٤ هـ.ق)

■ طباعة ونشر مصحف طبق الأصل

استغرقت عمليّة نشر مصحف المشهد الرضوي في قالب نسخة طبق الأصل تحتوي على صور عالية الجودة لكلتا النسختيْن، بالإضافة إلى إدخال الصور والتصميم الجرافيكي وترقيم الصفحات والطباعة والتجليد والتغليف وكتابة المقدّمة فترةً امتدّت من شهر محرم لعام ١٤٤٣ هـ.ق حتّى شهر صفر لعام ١٤٤٥ هـ.ق.

المصدر: موقع مصحف المشهد الرضوي

• شبهات وردود

امكان الانشقاق والالتئام علميا

• السيد جعفر مرتضى العاملي

■ نص الشبهة:

هل يمكن علمياً الانشقاق في الأجرام السماوية؟ وإذا أمكن الانشقاق، فإنما يمكن ببطلان التجاذب بين الشقتين حينئذٍ؛ فيستحيل الالتئام بعد الانشقاق.

■ الجواب:

وأجيب عنه: بأن خرق العادة بقدرة الله سبحانه ليس محالاً.

كما أن العلماء يقولون: إنه قد حدثت انشقاقات كثيرة في الأجرام السماوية؛ بسبب عوامل خاصة، ومن الأمثلة على ذلك:

١ـ إن ثمة حوالي خمسة آلاف من القطع الكبيرة والصغيرة التي تدور حول الشمس ويعتقد العلماء أنها بقايا إحدى السيارات التي كانت بين مداري المريخ والمشتري، ثم انفجرت لأسباب مجهولة وتحولت إلى قطع متفاوتة الأحجام في مدارات حول الشمس.

٢ـ ويقولون: إن الشهب هي أحجار صغيرة تسير بسرعة مذهلة في مدار حول الشمس، وربما تتقاطع مع الأرض أحياناً، فتجذبها الأرض، فتصطدم بالجو الأرضي فتشتعل ثم تتلاشى. ويقول العلماء: إنها بقايا نجوم انفجرت وتشققت بهذا النحو.

٣ـ والمنظومة الشمسية أيضاً يقال ـ حسب نظرية لابلاس ـ إنها كانت في الأصل قطعة واحدة، ثم انفجرت، لسبب غير معلوم فصارت على هذا النحو، فلماذا لا ينشق القمر بسبب قاهر وهو القدرة الإلهية، حيث إن النبي صلى الله عليه وآله قد دعا الله فاستجاب له؟ ولم يدّع أحد أنه ينشق بلا سبب أصلاً. وأما عودته إلى الالتئام بعد ذلك، فقد قال العلماء: إن كل جرم كبير له جاذبية. ولذلك نجد أن الشمس كثيراً ما تجذب بعض القطعات التي تدور حولها، فتتحول تلك القطع بفعل الصدمة والاحتكاك إلى لهب متلاشٍ.

إذاً، فما دام كل من شقي القمر قريباً إلى الآخر، وبعد رفع تأثير القوة المانعة من تأثير الجاذبية، فلماذا لا يشد كل من النصفين النصف الآخر إلى نفسه، ليعودا كما كانا، وأي محذور عقلي في ذلك؟!

وقد أوجز العلامة الطباطبائي الإجابة عن سؤال امتناع الالتئام لعدم الجاذبية، فقال: إن الاستحالة العقلية ممنوعة، والاستحالة العادية، بمعنى اختراق العادة، لو منعت عن الالتئام بعد الانشقاق، لمنعت أولاً عن الانشقاق بعد الالتئام ولم تمنع. وأصل الكلام مبني على خرق العادة.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا: أن جريدة كيهان الإيراينة قد نشرت بتاريخ: الثلاثاء ٣ شباط ٢٠٠٤ (١٤ / ١١ / ١٣٨٢ هـ. ش) العدد ١٧٨٧٦/٦٢ خبراً مفاده أن رواد الفضاء الأمريكي قد توصلوا في تحقيقاتهم الأخيرة إلى أن القمر قد انشق إلى نصفين، ومن ثم ـ بواسطة قوة فاعلة ـ التأم من جديد. وفي مقابلة تلفزيونية مع عالم الجيولوجيا الدكتور زغلول النجار أعلن أنه وخلال محاضرة له في جامعة (كارديف) في غرب بريطانيا، أكد داود موسى بيتكوك (رئيس الحزب الإسلامي البريطاني): أنه سمع ذلك من التلفزيزن البريطاني، وأن هذا كان سبب إسلامه.

■ دلالة الآية القرانية على ذلك

ويحتمل البعض: أن يكون قوله تعالى: ﴿... اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ناظراً إلى المستقبل، وأنه من أشراط الساعة، كتكوير الشمس، وانكدار النجوم.

وأجيب عنه بما حاصله: أولاً: إن ظاهر قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ هو أن جماعة من مخالفي النبي لا يؤمنون بالآيات وكلما جاءتهم آية يزيد عنادهم واستكبارهم، ويعتبرونها من السحر. مما يدل على أنه قد جرى له صلى الله عليه وآله معهم في قصة انشقاق القمر مثل ذلك.

ثانياً: إن جملة (انشق) فعل ماض، ولا يراد الاستقبال من الفعل الماضي إلا بقرينة، وهي غير موجودة، بل الموجود خلافه ؛ فقد قال الرازي: (المفسرون بأسرهم على أن المراد أن القمر انشق، ودلت الأخبار الصحاح عليه) وإن كان الطبرسي وابن شهرآشوب يستثنيان: عطاء، والحسن والبلخي. ثم قال الطبرسي: وهذا لا يصح، لأن المسلمين أجمعوا على ذلك، فلا يعتد بخلاف من خالف فيه.

وإن قيل: إن اقتران جملة: اقتربت الساعة: بجملة: وانشق القمر، يوحي بأن زمانهما واحد. فالجواب هو: أن كثيراً من الآيات تؤكد على أن الساعة قد قرب وقتها، فلم الغفلة؟ قال تعالى: ﴿... اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴾. وينقل عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: (بعثت أنا والساعة كهاتين) وأشار إلى إصبعيه.

(والظاهر: أن ذلك بملاحظة مجموع عمر الدنيا الطويل جداً، حتى ليصح أن يقال: إن هذا الفاصل الزماني بين بعثته صلى الله عليه وآله وقيام الساعة ليس بشيء). وبعد هذا.. فإن مفاد الآية يكون: أن الساعة قد اقتربت، وهذه الآية المعجزة قد ظهرت للنبي صلى الله عليه وآله. ولكن هؤلاء المشركين المستكبرين لا يؤمنون، ولا يصدقون، بل يقولون: سحر مستمر.

ولكن بعض المحققين يقول: إن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً ...﴾ جملة شرطية، لا دلالة فيها على وقوع ذلك. وجملة ﴿... وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ مساقها مساق قوله تعالى: ﴿... أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ...﴾ فإنها جملة فعلية ماضوية، ولكن الأمر لم يأت بعد بقرينة قوله: ﴿... فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ...﴾. وكذا الحال في قوله تعالى: ﴿... وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ بملاحظة قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً ...﴾ والمراد بيان حالهم لو وقع لهم أمر كهذا.

وأما الإجماع الذي ادعاه الطبرسي؛ فلا حجية فيه، إذ من المحتمل أن يكون منشؤه الفهم الخاطئ للآية، انتهى كلامه. ونقول نحن: إن هذا الكلام له وجه، لو لم يكن لدينا أخبار صحيحة تدل على وقوع انشقاق القمر.

■ الأساطير

هذا، وقد لعبت الأهواء والأساطير في قضية شق القمر، حتى لقد شاع على ألسنة الناس: أن أحد شقي القمر قد مر من كُمّ النبي صلى الله عليه وآله فيقول العلامة الشيخ ناصر مكارم: إن هذا الكلام ليس له في كتب الحديث والتفسير عين ولا أثر، سواء عند السنة، أو عند الشيعة. وثمة تفاصيل وخصوصيات تذكر في بعض الروايات لا نرى في تحقيق الحق فيها كبير نفع، ولا جليل أثر؛ ولذا فنحن نعرض عنها إلى ما هو أهم، ونفعه أعم.

المصدر: مركز الإشعاع الإسلامي